



إذا ألقينا نظرة واقعية على مضمون بيان مؤتمر فيينا بشأن الأزمة السورية، وأجرينا مقارنة مع الواقع الميداني والخطوات التنفيذية على الأرض لأدركنا التالي:

أولاً: في الحديث عن "وحدة سوريا واستقلالها وسيادة أراضيها وحياتها العلمانية"، نرى تأكيداً نظرياً يقابل فرز مذهبي وعرقي وتغييرات في демография على الأرض، وحقداً وتفككاً مستمرتين، والدول المعنية والنظام أو لنقل التحالفات المتعددة تسهم عملياً في هذا الأمر.

وأين السيادة؟ وأين "ضرورة حماية حقوق السوريين بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية أو الدينية" الواردة في البند3؛ وهل إيران التي خطفت الأضواء بحضورها "الضروري" بإقرار الجميع، تريد سوريا علمانية وديمقراطية؟

ثانياً: "ضرورة إلحاق الهزيمة بداعش". واقعياً يظهر ذلك من خلال ما تمارسه الطائرات الروسية والأميركية والفرنسية والتركية استباحة لسوريا. و"داعش" لا يزال موجوداً قوياً مفاجئاً لقوات النظام، والتحالفين الأميركي والروسي، يتقدم هنا وضربات هناك، إضافة إلى استمراره في تحصيل 500 مليون دولار أمريكي من واردات النفط في سوريا والعراق!

أما السيادة، فالأفلام تعرض وتركب، عن التدريب العسكري الروسي في الأجواء السورية لاختبار كفاءة الاتصالات. لقد تحولت أرضنا إلى حقول تجارب لأسلحتهم ودمّر كل ما عليها. وتحولت مياهنا إلى ممرات ومعابر لأساطيلهم وحقول تجارب لأسلحتهم وتقنياتهم الجديدة، وتحوّل سماؤنا اليوم إلى فضاءات تصوّل وتجول فيها طائراتهم وتخبر كفاءات طيارיהם وغرف عملياتهم الجوية واتصالاتهم التقنية ومصير سوريا على "كفوف عفاريتهم"!

ثالثاً: وفي الحديث عن مصير الأسد، نجد عبارة "السوريون يقررون مصيرهم". كلام حق يراد به باطل، وهو معيب في هذا التوقّيـت، لماذا؟ كل الدول تتدخل عليناً وتعول إن تدخلها لتعديل ميزان القوى ولمنع هذا الفريق أو ذاك من كسر الميزان وتجاوز الحدود، أو لإلزام الأطراف بالذهاب إلى طاولة الحوار.

والشعب السوري يقرر مصيره. تدخل في كل شاردة وواردة أمنية وعسكرية وسياسية ومالية واقتصادية. والقرار عند

الكبار وحديث عن حق تقرير المصير للشعب السوري. ونسى الكبار حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره. وسلمت أميركا بحق إسرائيل في الدفاع عن نفسها وأغدقـتـ عليها المساعدات، وكل أشكال الحمايات، بما فيها الشراكة في تطوير المشروع النووي، وهذه سابقة في تاريخ العلاقة بين الحليفين!

رابعاً: يتباھي بعض الغربيين بإلھام النفس بأن مشاركة المهجـرين في التصويت لن تكون لمصلحة الأسد. كأنهم يقولون أمـريـن: لا ضمانة بـنـزـاهـةـ الـاـنتـخـابـاتـ عـنـدـمـاـ تـجـرـيـ لأنـ قـوـاتـ الأـسـدـ سـتـضـغـطـ عـلـىـ النـاسـ. وهذا مناف لـبـنـدـ الحديثـ عنـ اـنـتـخـابـاتـ نـزـيهـةـ تـجـرـيـ بـإـشـرافـ دـولـيـ. والأـمـرـ الثـانـيـ أنـ الـحـلـ العـبـقـريـ يـكـمـنـ فـيـ تـهـجـيرـ السـوـرـيـينـ لـلـوـقـوفـ فـيـ وـجـهـ الأـسـدـ وـالـاـنـتـخـابـ ضـدـهـ طـالـمـاـ أـنـ الـشـعـبـ السـوـرـيـ يـقـرـرـ، وـبـالـتـالـيـ لـاـ مـجـالـ لـإـخـرـاجـهـ إـلـاـ بـالـاـنـتـخـابـاتـ. نـهـجـرـ السـوـرـيـينـ إـلـىـ الـخـارـجـ لـنـتـمـكـنـ مـنـ إـطـاحـةـ الأـسـدـ الـذـيـ عـادـ لـيـقـولـ: ضـرـبـ إـلـرـهـابـ قـبـلـ الـاـنـتـخـابـ! عـيـبـ هـذـاـ الـاـسـتـخـافـ بـعـقـولـ النـاسـ إـلـىـ هـذـاـ الـحدـ. أـلـمـ يـصـوـتـ قـسـمـ مـنـ السـوـرـيـينـ فـيـ لـبـانـ لـمـصـلـحةـ الأـسـدـ؟ لـمـاـ لـاـ نـبـقـيـ السـوـرـيـينـ فـيـ بـلـادـهـ وـنـذـهـبـ إـلـىـ تـثـبـيـتـ مـعـاـدـلـةـ دـاخـلـيـةـ تـنـتـهـيـ بـخـرـوجـ الأـسـدـ؟ إـنـهـ الـلـعـبـةـ الـدـولـيـةـ الـمـشـبـوـهـةـ الـخـبـيـثـةـ الـتـيـ سـتـبـقـىـ سـوـرـيـاـ بـمـوـجـبـهاـ تـنـزـفـ وـتـدـمـرـ، وـلـنـ يـكـونـ فـيـهاـ حلـ قـبـلـ الـاـتـفـاقـ الـرـوـسـيـ – الـأـمـيـرـكـيـ اـنـطـلـاقـاـ مـنـ الـمـعـاـدـلـةـ "ـالـذـهـبـيـةـ"ـ الـدـبـلـوـمـاـسـيـةـ الـتـيـ أـعـوـدـ لـلـتـذـكـيرـ بـهـاـ دـائـمـاـ:ـ واـشـنـطـنـ تـقـوـلـ:ـ بـدـءـ الـعـلـمـيـةـ السـيـاسـيـةـ لـيـسـ مـشـرـوـطـاـ بـتـنـحـيـ الأـسـدـ. وـمـوـسـكـوـ تـقـوـلـ:ـ اـنـتـهـاءـ الـعـلـمـيـةـ السـيـاسـيـةـ لـيـسـ مـرـبـوـطـاـ بـبـقـاءـ الأـسـدـ.

وقد أطلقت إشارات كثيرة في الأيام الأخيرة قبل فيينا وخلالها وبعدها في هذا الاتجاه، وأبرزها ما أعلنه لافروف: لم أقل بوجوب بقاء الأسد. وإلى أن يصل الطرفان المعنيان إلى اتفاق، يتغنى النظام بانتصاره أن المؤتمر لم يشر إلى مرحلة انتقالية، وتقول إيران إنها لا تقبل بتغيير الأسد، وتباين في الرأي مع روسيا كما قال قائد الحرس الثوري محمد علي جعفري: "جارتنا الشمالية (روسيا) تساعـدـ فـيـ سـوـرـيـاـ لـكـنـهاـ لـيـسـ سـعـيـدةـ بـالـمـقاـوـمـةـ إـلـاـ إـسـلامـيـةـ. وـلـيـسـ وـاـضـحـاـ أـنـ موـاـقـفـ رـوـسـيـاـ تـتـطـابـقـ مـعـ رـأـيـ إـيـرانـ فـيـ شـأـنـ الأـسـدـ". وفي المقابل، تصر أطراف عربية وتركيا على إزاحة الأسد ودعم المعارضة. وتدّهـبـ مـوـسـكـوـ إـلـىـ التـحـضـيرـ لـمـؤـتـمـراتـ فـيـ مـوـسـكـوـ. فـتـكـونـ مـوـسـكـوـ وـفـيـنـاـ تـمـهـيدـاتـ لـ "ـجـنـيفـ"ـ جـدـيدـ. سـيـطـوـلـ أـمـدـهـ. خـالـلـ هـذـاـ الـوقـتـ تـأـتـيـ الـخـطـوةـ الـأـمـيـرـكـيـةـ الـجـبـارـةـ:ـ إـرـسـالـ 50ـ عـسـكـرـيـاـ إـلـىـ سـوـرـيـاـ. عـيـبـ وـفـضـيـحـةـ يـسـتـحـقـهـاـ الـذـينـ يـرـاهـنـونـ عـلـىـ أـمـيرـكاـ،ـ لـكـنـ يـدـفـعـ ثـمـنـهـاـ السـوـرـيـونـ.

ما يجري فوق سوريا وعلى أرضها وفي أروقة المؤتمرات كذبة مفتوحة ومذلة ونكبة مفتوحة.

الاتحاد الإماراتي

المصادر: